تفسير ابن كثير

يقول تعالى : ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا منكرا إذ { يضربون وجوههم وأدبارهم } ويقولون لهم { وذوقوا عذاب الحريق } قال ابن جريج : عن مجاهد { أدبارهم } أستاههم قال يوم بدر قال ابن جريج : قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد في قوله { إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } يوم بدر وقال وكيع : عن سفيان الثوري عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد وعن شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن ا يكنى وكذا قال عمر مولى عفرة وعن الحسن البصري قال : قال رجل يا رسول ا : إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك قال [ذاك ضرب الملائكة] رواه ابن جرير وهو مرسل وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر بل قال تعالى : { ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } وفي سورة القتال مثلها وتقدم في سورة الأنعام قوله تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم } أي باسطو أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم إذ استصعبت أنفسهم وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرا وذلك إذ بشروهم بالعذاب والغضب من ا كما في حديث البراء أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتتفرق في بدنه فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب ولهذا أخبر تعالى : أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق وقوله تعالى : { ذلك بما قدمت أيديكم } أي هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا جازاكم ا بها هذا الجزاء { وأن ا ليس بظلام للعبيد } أي لا يظلم أحدا من خلقه بل هو الحكم العدل الذي لا يجور تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغني الحميد ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم C من رواية أبي ذر Bه عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم إن ا تعالى يقول [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد ا ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] ولهذا قال تعالى